© ٢٠١٩ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص(٣)، يونيو، حزيران ٢٠١٩م، ص١-٢٢

مقومات الأمن الفكري من منظور قرآني(*)

سهيلة سقاني[١] محمد رسلان محمد نور[٢]

(Elements of the Intellectual Security from the Qur'anic Perspective)

ABSTRACT

Intellectual security is one of the most important components of public security and it occupies its highest rank. Thus, it is an obligation to achieve and protect national security legitimately and a religiously. This research deals with the most prominent elements of intellectual security which cannot be based only on the basis of the concept and reality of its existence. The identification and construction of these ingredients are also mentioned in the Quranic verses, which show that security is an inevitable consequence of the validity of faith and the integrity of belief. Since intellectual security is linked to the ideas and perceptions of individuals, especially those concepts are the first organized and directed human behavior, it shall refer to the Sharia texts to know the limits of thought and controls to be in accordance with the Islamic curriculum normality and be safe from any any contract or intellectual deviation. Because of the moderation feature which Allah Almighty has singled out for the Islamic due to its importance to the safety of belief and thought of delinquency, hyperbole and fanaticism, this characteristic must be an essential ingredient of intellectual security.

Keywords: *fundamentals, intellectual security, limits of thought, moderation.*

(*) This article was submitted on: 7/06/2019 and accepted for publication on: 9/09/2019.

[1] Souheila, Seggani, PhD. Candidate, Academy of Islamic Studies APIUM, souheilas@yahoo.com

[2] Assoc. Prof. Dr. Mohd Roslan Bin Mohd Nor, Academy of Islamic Studies APIUM.

ملخص

يعتبر الأمن الفكري أحد مكونات الأمن العام ومنزلته هي المنزلة العليا في مراتبه، وضرورة تحققه وحمايته يعد واجبًا شرعيًّا، وفريضة دينية. ويتناول هذا البحث أبرز مقومات الأمن الفكري والتي لا يمكن أن يقوم مفهومه وحقيقته إلاّ على أساس وجودها، ويعود تحديد هذه المقومات بناءً على الآيات القرآنية التي كان الأمن فيها نتيجة حتمية لصحة الإيمان وسلامة العقيدة. وبما أن الأمن الفكري مرتبط بالأفكار والمفاهيم عند الأفراد، وباعتبار تلك المفاهيم هي المنظم والموجه الأول للسلوك الإنساني فقد وجب الرجوع إلى النصوص الشرعية، لمعرفة حدود الفكر وضوابطه حتى يكون موافقا للمنهج الإسلامي السوي ويكون آمنا من أي انحراف عقدي أو فكري، ونظرا لخاصية الوسطية التي خص الله سبحانه وتعالى بها الأمة الإسلامية وأهميتها في سلامة المعتقد والفكر من الانحراف والغلو والتعصب فقد كان لزاما أن تكون هذه الخاصية من المقومات الأساسية للأمن الفكري.

كلمات دالَّة: أمن فكري، حدود الفكر، مقومات، وسطية.

١– مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد، فإنَّ من أعظم نعم الله عزّ وجلّ على عباده بعد نعمة الإسلام والإيمان نعمة الأمن والأمان، فالأمن وما يتضمنه من معاني الاطمئنان وما يقابله من خوف وفزع، مطلب أساسي في الحياة الإنسانية جمعاء، وهو نعمة ربانية لا يمكن الاستغناء عنها ولا يمكن أن تستقيم الحياة بدونها، ولهذا امتن الله سبحانه وتعالى بها على كفار قريش فقال سبحانه: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ٤﴾(قريش: ١–٤) وفي الحديث الذي يرويه سَلَمَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ – وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".

ومن أهمية هذا الأمن العام الذي هو أصل الحياة تنبع أهمية الأمن الفكري الذي يعتبر أساس كل أمن بل هو الركن الأهم في نُظُم بِنائها، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بدين هذه الأمة، عقيدةً وشريعةً، منهجًا وسلوكًا، ولا يمكن أن يتحقق إلاّ بحفظ الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها. وبالرجوع

إلى ما ورد في القرآن الكريم من نصوص واضحة الدلالة على أهمية نعمة الأمن بمعناه الشامل يتأكد لنا أن الأمن الفكري يعتبر أحد مكونات الأمن العام ومنزلته هي المنزلة العليا في مراتبه، وضرورة تحققه وحمايته يعد واجبًا شرعيًا، وفريضة دينية، فبتحققه تتحقق جميع أنواع الأمن الأخرى، وأهمها الأمن الوطني الذي يتأثر بالضرورة به إيجابا وسلبا، وجودا وعدما.

و يحظى الأمن الفكري في حيز الدراسات المعاصرة بأهمية بالغة لمختلف شرائح المجتمع، حيث يساهم في الوقاية من الوقوع في متاهات الانحراف بجميع مجالاته، وقد ظهرت أهمية هذه الدراسات والبحوث في السنوات الأخيرة نظرا لظهور العديد من التحولات الفكرية والإشكالات الثقافية المختلفة التي أثرت على واقع المجتمعات وساهمت في إضعاف الوازع الديني، وتدنّي القيم الثقافية والأخلاقية، وتفشي ظاهرتي الجريمة والإرهاب، ونتيجة لذلك أدركت المجتمعات أهمية الأمن الفكري ودوره في التصدي لهذه الأفكار المنحرفة وتحقيق استقرار المجتمع من أجل حماية أفراده من الأفكار المتطرفة والهدامة.

ثم إن قضية الأمن الفكري وما قد يشوبه من لوثات الفكر الدخيل، وغوائل الثقافة المستوردة بين الحين والآخر، وما يقابله من الانحراف الفكري ومخاطره، هي قضية لها أهمية كبرى في حياتنا، ولا بد من الاهتمام بها، ذلك أن الخوف على الأفكار والعقائد الصحيحة من الانحراف يجب أن يكون أكبر من الخوف على النفوس والأجساد من الأمراض، ونحن اليوم في هذا العالم المضطرب، عالم التكتلات والمؤامرات، حيث إننا نعيش هذا الواقع الأليم الذي لا يحتاج إلى بيانٍ أو تشخيص، أقدر على معرفة قيمة الأمن، وضرورة تحقيقه.

ولقد وردت تعاريف كثيرة للأمن الفكري فجاء بعضها انطلاقا من المفهوم اللّغوي للأمن– الذي يفيد الاطمئنان والاستقرار– فعبر عنه من قبل الباحثين بأنه حالة شعور وإحساس الفرد والمجتمع بالاطمئنان على مقومات أساسية في تركيبته الحياتية واستقرارها، تتمثل في الأصالة والثقافة والمنظومة العقدية والفكرية، وكذا النظام الأخلاقي بل وضرورة وقايتها والتصدي لكل ما من شأنه أن يُخِل أو يعبث بها[1].

[1] السديس، عبد الرحمن بن عبد العزيز.(٢٠٠٥).الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، ضمن كتاب: الأمن الفكري، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص١٦.

ويمكن تعريفه بأنه "الحال التي يكون فيها العقل سالما من الميل عن الاستقامة عند تأمله، وأن تكون ثمرة ذلك التأمل متفقة مع منهج الإسلام وفق فهم السلف الصالح، وأن يكون المجتمع المسلم آمنًا على مكونات أصالته، وثقافته المنبثقة من الكتاب والسنّة".[١]

ولتحقيق الأمن الفكري يستوجب تحديد مقومات تكون أسسًا بنائية فيه، وفي محاولة لتحديد تلك المقومات اختارت الباحثة هذه الدراسة وذلك بالرجوع إلى القرآن الكريم والوقوف عند بعض الآيات القرآنية لاستنتاج أبرز تلك المقومات من وجهة نظرها، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في توضيح ضرورة الرجوع إلى المصدر الأول للتشريع الإسلامي في تحديد أي أسس أو قواعد تقوم عليها المفاهيم والتصورات، وتبنى على أساسها المنظومة العقدية والفكرية للفرد والمجتمع، وحتى يستعيد القرآن الكريم مركزيته في صناعة الوعي الإسلامي.

وتمثلت أهم المحاور الرئيسية التي تناولتها هذه الدراسة في ثلاثة مباحث، فخصت المبحث الأول في تبيين العلاقة بين الإيمان بالله عز وجل والأمن، والمبحث الثاني تناول ضوابط العقل في التفكر والتدبر، أما المبحث الأخير فتناول الحديث عن خاصية الوسطية والاعتدال وضرورتها في الفكر والسلوك.

٢– تحقيق الإيمان وعلاقته بالأمن العام

لقد وردت آيات قرآنية ارتبط فيها تحقق الأمن بمعناه العام ارتباطا وثيقا بتحقق الإيمان وتوحيد الله عز وجل، فمنها ما ذكرت أن الأمن يكون ثمرة الإيمان ونتيجته، ومنها ما ذكرت أن نقيض الإيمان وهو الكفر والشرك يكون سببا لانعدام الأمن.

وقبل ذكر تلك الآيات وتفسيراتها، نبين أولا أن الأمن في لغة العرب يتضمن المعاني الآتية:

– الاطمئنان، والاستقرار، ونقيضه الخوف، ومنه قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾ (قريش: ٤) وقوله سبحانه: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور: ٥٥)

–والأمانة تفيد الاطمئنان، والثقة، ونقيضها الخيانة. قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧)

---

[١] الزهراني، إبراهيم عبد الله. (٢٠١١). الأمن الفكري: مفهومه، ضرورته، مجالاته (ورقة عمل للاجتماع الدوري الخامس لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موقع السكينة ١٨ يناير ٢٠١١)، www.assakina.com.

– والإيمان يفيد التصديق، والاستيقان، ونقيضه الكفر. قال تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(الكهف: ٢٩) وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِير مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِير﴾ (البقرة: ١٠٩)

ويقرر ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة أن الأمن والإيمان أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة وهي سكون القلب، والثاني التصديق.

وبالرجوع إلى الآيات القرآنية التي جاء فيها الأمن بمعناه الشامل مقرونا بالإيمان فنجد آيات كثيرة منها:

قوله سبحانه تعالى:﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٨١)

وقوله سبحانه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥)

وقال سبحانه وتعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢٩)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ١١٢ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ١١٣﴾ (النحل: ١١٢–١١٣)

بهذه الآيات القرآنية الكريمة يطمئن الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ويبشرهم بتحقيق أمنهم ما تحقق فيهم الإيمان والعمل الصالح، فالمؤمن هو صاحب الأمن وهو أولى به من غيره، وإذا انعدم الإيمان انعدم الأمن، هذا الإيمان الذي به تتحقق سلامة العقيدة، وتحفظ الضرورات الخمس، ويتحقق الأمن العام فيشمل أمن النفس والعقل، وأمن الروح والمعتقد، وأمن المال والعرض.

لذلك فإن" الإيمان بالله هو أصل الدين وأساس الملة، فلهذا صار أعلاها وأفضلها، ولأن الأعمال متوقفة صحتها على هذا الأصل العظيم، وهو الإيمان بالله، فلا يصح أي عمل حتى ينبني على الإيمان بالله وتوحيده عز وجل".[١]

وفي هذا السياق نجد سيد قطب يناقش حقيقة الإيمان الوارد في آية النور الواردة أعلاه فيقول في تفسيره: "ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ أن يستخلفهم في الأرض. وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم. وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا. ذلك وعد الله. ووعد الله حق. ووعد الله واقع. ولن يخلف الله وعده. فما حقيقة ذلك الإيمان؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله.

فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا. ويتوجه بهذا كله إلى الله."[٢]

وجاء في تفسير الطبري لآيات الوعد الرباني "هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون"؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلا بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني: بشرك. ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا، أحقّ بالأمن من عقابه مكروهَ عبادته ربَّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه

---

[١] الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله. شرح الوصية الكبرى لابن تيمية، ٢/٢. **دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية** http://www.islamweb.net

[٢] سيد قطب، **إبراهيم حسين الشاربي**. (**١٤١٢هـ**). في ظلال القرآن، بيروت: دار الشروق، ط١٧، ٢٥٢٨/٤.

عبادتهم.[١] وورد في فتح الرحمان:"﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ فلما نزلت الآية، شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله! فأينا لم يظلم نفسه؟ فقال: ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)[٢]

فالإيمان الصحيح هو أساس الأمن وهو ضمانه في الاستمرار والتطبيق، وأعظم مفهوم للأمن هو سلامة العقيدة من الشبهات والزيغ، ولما كان الإيمان موجبًا للعمل الصالح فلا يمكن له أن يتحقق ولا للسلوك أن يترجم إلى عمل صالح إلا إذا سلمت العقيدة من الخرافات والبدع، وسلم العقل الإنساني من التفكير المنحرف، ولا تتحقق هذه السلامة إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية، فالعقل هو آلة الفهم ووسيلة الاستدلال على المعارف والعلوم، وهو مناط التكليف بالشرائع والأحكام، وفي توفر الأمن الفكري حفاظ عليه –من أسباب العبث به وحمايته من المفسدات– هو في أصله حفاظا على مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.

٣– ضوابط العقل في التفكر والتدبر

إن الأمن الفكري مرتبط بالفكر الإنساني ولما كان العقل هو وسيلة هذا التفكر والفكر نتيجة له، فقد استوجب الرجوع إلى النصوص الشرعية لمعرفة ضوابط العقل أثناء العملية التفكرية والتأملية، لصيانته من أي انحراف يحول دون تحقق الأمن الفكري.

وأهم الضوابط التي رسمها المنهج الإسلامي أثناء التفكير ما يلي:

أ– عدم التفكر فيما لا يدركه العقل

قال تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٨٥)

قال الشاطبي رحمه الله: " أن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب. ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما

---

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن، ت. أحمد محمد شاكر، دم: مؤسسة الرسالة، ٤٩٢/١١.

[٢] المقدسي، مجير الدين بن محمد العليمي. (٢٠٠٩). فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ، ٤٢٦/٢.

كان وما يكون وما لا يكون، إذ لو كان كيف كان يكون، فمعلومات الله لا تتناهى. ومعلومات العبد متناهية. والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى".[١]

ب – عدم التفكر في ذات الله عز وجل

يجب ألا يكون النظر الفكري في الثوابت القطعية في الدين كوجود الله ووحدانيته وصفاته، قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)

وقال سبحانه:﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)

وقال ﷺ « تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»[٢] .وفي لفظ قال ﷺ «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد شيئاً فليقل: آمنت بالله ورسله».

وفي الرواية الأخرى فليستعذ بالله ولينته فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه قال الإمام المازري رحمه الله: "ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها". وقال النووي: فليستعذ بالله ولينته فمعناه إذا عرض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه وليعرض عن الفكر في ذلك وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها[٣].

ويتضح أن السبب المباشر في النهي عن التفكر في الذات الإلهية، عدم خضوعه سبحانه للحوادث، والمقاييس التي يعتمد عليها العقل لعقد المقارنات "فالتفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات، وأما الخالق جلّ جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير فالتفكر الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه وإنما هو معلوم بالفطرة فيذكره العبد. وبالذكر وبما أخبر به عن نفسه: يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمة؛ لا تنال بمجرد التفكير والتقدير".[٤]

---

[١] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى.(١٩٩٢). الاعتصام، السعودية: دار بن عفان، ٢/ ٨٣١.

[٢] رواه الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ عن ابن عمر، وحسنه الألباني في الجامع.

[٣] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف.(١٣٩٢هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٥٦/٢.

[٤] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٥). مجموع الفتاوى، ت. عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، ٣٩/٤-٤٠.

و لأهل العلم نصوص كثيرة نهت عن التفكر في ذات الله عز وجل، وحثت على التفكر في آياته الكونية المرئية، وآياته الشرعية المقروءة، ونعمه التي تغمر الإنسان وتحيط به، فالله سبحانه "لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام"، وفي هذا يقول أبو زيد القيرواني:" ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم".[١]

ج – عدم الخوض في القدر

وردت أحاديث نبوية رسمت للعقل حدوده حتى لا يخوض في غير مجاله، فنهى النبي ﷺ عن الخوض والجدال في القدر، لما يؤول إليه من اختلاف وتفرق، فالقدر سر من أسرار الله تعالى والتعمق فيه سبب للهلاك والزيغ، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال لهم: «مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم».[٢]

وقال الإمام الطحاوي: "أصل القدر سر من أسرار الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى:﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(الأنبياء: ٢٣)، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر. ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود"[٣].

---

[١] القيرواني، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي. عقيدة السلف، ت. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، دط، ص٥٦.

[٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٤١٩هـ). تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ٣٢٢/٢.

[٣] أبو العز الحنفي، علي بن علي بن محمد. (٢٠١١). شرح العقيدة الطحاوية، ت. أبي العباس العدني، ياسين بن علي بن سالم الحوشي، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط٤، ٣٠٧-٣٢٦.

ويروى أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: طريق مظلم، فلا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال فقال: سر الله خفي عليك فلا تفشه".[١]

د – عدم التفكر في قضايا الغيب

فالله سبحانه وتعالى هو وحده المتفرد بعلم الغيب، ولا طريق لتحصيله "إلا من طريق النبوة، فكل من زعم بأن له طريقاً يوصله إلى ما غاب وخفي من علم الله عز وجل فقد كذب بالقرآن، فالواجب عليه أن يترك ذلك، ولا يثبت إيمانه إلا بذلك"[٢]

قال تعالى:﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)

وقال سبحانه:﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥) وقال:﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا٢٧﴾ (الجن: ٢٦-٢٧)

و"لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطُّرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين. وبعض منها ما يكون كفراً ولذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"[٣]. ولا خلاف بين العلماء في منع العيافة. والكهانة، والعرافة، والطرق، والزجر، والنجوم. وكل ذلك يدخل في الكهانة، لأنها تشمل جميع أنواع ادعاء الاطلاع على علم الغيب، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان؟ فقال: "ليسوا بشيء".[٤]

---

[١] ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد.(٢٠٠٢). تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، بيروت: المكتب الإسلامي، ٥٩٦.

[٢] خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، شرح العقيدة الطحاوية، دروس صوتية بموقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.islamweb.net

[٣] رواه مسلم: كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهَّان (٤ / ١٧٥١) حديث رقم: (٢٢٣٠).

عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان. (١٩٩٩). جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩/١.

[٤]

وقال ابن حجر العسقلاني أن "البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة".[١]

هـ – عدم التفكر فيما لا فائدة من النظر فيه:

إن إبعاد العقل أثناء تفكيره عن الانشغال بما لا يعود عليه بفائدة فيه صيانة له من الاضطراب والشك الذي يجره إلى طرح الأسئلة والاستفسارات التي لا تعود بفائدة ومنفعة لسائلها، وقد نهى الله عز وجل عن كثرة السؤال فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]

وروي أن بعض الناس سألوا: ما بال الهلال يبدو رقيقاً كالخيط، ثم لا يزال ينمو حتى يصير بدراً، ثم ينقص إلى أن يصير كما كان. فأنزل الله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ١٨٩﴾ (البقرة: ١٨٩) فأعرض القرآن الكريم عن إجابة السؤال، وأجاب بما يفيد السائل في دينه؛ لأنه سؤال ليس وراءه فائدة. وفي قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ إبطال لما كانوا عليه في الجاهلية، حيث كانوا يعتقدون أنه يحرم على من عاد من الحج وأراد أن يدخل البيت أن يدخله من الباب، ولكن يدخله من الخلف من النافذة، فيمنعون المحرم من الدخول من باب البيت، وبعض العلماء يقول: إن المقصود هنا الإشارة إلى انتقاد هذا الذي سأل عن الأهلة بأن الهلال يبدو دقيقاً ثم يصير بدراً ثم ينقص ثانية. فقوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ يعني أن المشتغل بهذه المسائل كالذي يأتي البيوت من ظهورها، لكن عليك أن تأتي البيوت من أبوابها بأن تسأل عما يفيدك في دينك لا عما لا يعنيك.[٢]

---

[١] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ٢٦٧/١٣.

[٢] ذم كثرة السؤال، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٠/٠١/٠٣ موقع: http://articles.islamweb.net

و – ترك النظر في مصادر الضلال والانحراف

ومن سبل صيانة العقل البشري تركه النظر في أي مصدر يغذيه بالأفكار الضالة المنحرفة، والعقائد الفاسدة، وفي صرفه عنها إبعاد له عن اعتناقها أو التأثر بها، وقد أخرج الدارمي[١] عن جابر: "أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ، ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ، فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبَعْتُموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوَّتي لاتبعني".

وقد رأى بعض العلماء قديما وجوب إتلاف كتب المبتدعة والضلال، يقول ابن القيم:"كل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة: غير مأذون فيها، بل مأذون في محقها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة". [٢]

وإن كان هذا رأي العلماء قديما، فنحن اليوم في خضم هذا التطور المعلوماتي ووسائله، والغزو الفكري ومخاطره، والتفتح المعرفي اللامحدود أحوج ما نكون لصرف النظر عن أي فكر لا يستند في مصادر معرفته إلى المرجعية الإسلامية، أو يسعى لتهديد الثوابت والأصول العقدية، والمقوم الديني والأخلاقي للفرد والمجتمع الإسلامي.

إضافة إلى ما سبق ذكره فإنه لا يجوز للفكر التعرض لمسلمات العقائد كالإيمان بالأنبياء جميعهم وبكتبهم والملائكة واليوم الآخر، فهذه المسائل قد دلت النصوص القطعية من القرآن الكريم والسنة النبوية على ثبوتها، فيجب الإيمان بها واعتقادها ويحرم نشر كل فكر يصادمها من التشكيك فيها أو تأويلها بأمور ليس عليها دليل، لأن ذلك يؤدي إلى إبطال المصادر الشرعية التي جاءت بإثباتها وهما القرآن الكريم والسنة، وهذا في ذاته خروج عن الدين، وهدم للحضارة وكل الالتزامات والقيم التي اشتمل عليها الدين.

---

[١] **الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. (٢٠٠٠). سنن الدارمي، ت. حسين سليم أسد الداراني، السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ٤٠٣/١.**

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. الطرق الحكمية، دم: مكتبة دار البيان، ٢٣٤.

كما يجب أن يكون بمنأى عن المسائل المجمع عليها في العصور المتقدمة إذا كان ذلك الإجماع صحيحا، وكذا ما علم من الدين بالضرورة، كفرضية الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وزكاة المال، وحج البيت، وحرمة الزنا والربا، وشرب الخمر وغير ذلك، لأنها ممَّا لا مجال للشك في ثبوتها فلا مسوغ للعقل حينئذ للنظر والتأمل فيها، واسترسال الفكر في مثل هذه الأمور تفضي بصاحبه إلى الشك فيما يفترض أن يجزم فيه بالاعتقاد التام.

وأيضا يجب عدم المساس بما يتنافى مع حرمة الدين ومقدساته كالاستخفاف بشعائر الدين مثل الأنبياء والكتب المنزلة، وحملة الشريعة من الصحابة والتابعين والفقهاء، والقراء والمحدثين والكعبة وغيرها من رموز هذا الدين ومقدساته، ومن ذلك الهدي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج٣٢) والنبي الذي قال الله تعالى فيه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب: ٦٩)، وقال أيضا:﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)

إن هذه الحدود الشرعية تمثل إطارا لأمن الأمة في فكرها وعقلها، ويجب لأي فكرة أو طرح ألاَّ يتجاوزها ولا يخرج عن قيودها لأنه يكون حينئذ نذير شؤم وخراب وفوضى واضطراب، ونذير انحراف عقدي يفضي إلى الاختلاف والتفرقة والصراعات التي تدمر الثوابت والحضارة والقيم.

أخيرا نؤكد بأن تأمين الفكر من خلال رسم حدود نظره، فيه حماية للفضائل والأخلاق والقيم الدينية، والنظم الاجتماعية حتى لا ينقلب الفكر إلى أداة للفساد والتدمير، وإذا رسمنا للفكر هذه الحدود كي لا يخوض فيها فإن أمامه مجالات أخرى واسعة للنظر والتأمل وما منع منه ما هو إلا جزء قليل مما أبيح له، فالإسلام منح للإنسان حرية التفكير ودعاه للنظر في الكون، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (سبأ: ٤٦)، ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١)كما أن الإسلام ذم الذين يقلدون الآباء والكبراء والرؤساء دون أن يعملوا عقولهم فيما يتبعونهم فيه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠). بل وجعل المقلدين كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

٤ – خاصية الوسطية وضرورتها في العقيدة والفكر والسلوك

إنّ من أجلّ نعم الله عز وجل على أمة الإسلام وأعظم تشريف لها أن جعلها سبحانه أمة وسطا خيارا عدولا فقال في منزل كتابه:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة: ١٤٣)

وفضّلها وخيّرها سبحانه على غيرها من الأمم، وشهد لها بذلك، فقال تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠)

وورد لفظ وسط وأوسط ووسطى في القرآن الكريم في خمس مواضع وهي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقوله:﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨)، وفي قوله سبحانه:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المائدة: ٨٩)، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم: ٢٨)، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (العاديات: ٥).

وقد جاءت تعاريف عدة للوسطية استنادًا لسياقها القرآني، غير أنها جميعا لا تخرج عن معاني الاعتدال والخيرية، والعدل والتيسير، والاستقامة والتوازن بين الأمور.

ذكر الطبري في تفسيره أن الوسط في كلام العرب الخيار. والله تعالى وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم ".[١]

والوسطية خلاف للإفراط والتفريط، يقول ابن قيم الجوزية: فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي

[١] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٣٢٣هـ). جامع البيان في تفسير القرآن، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ٥/٢.

بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛ فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له: هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد.[١]

وقد أمر الله عز وجل بالوسطية في الاعتقاد باعتبار أن العقيدة هي اللّبنة الأساسية في تكوين شخصية الإنسان على مستوى الفكر والسلوك، فنهى سبحانه عن مجاوزة الحد في الدين بالغلو والإطراء فقال عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٧١)

وجاءت آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية كثيرة تؤكد على لزوم التوسط والاعتدال ومجانبة طرفي الغلو والجفاء في جميع جوانب الدين عقيدة وتشريعا، وفي جميع جوانب الحياة الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦)، وقال تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (لإسراء: ٢٩)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩)

وهكذا تسير وسطية الكمال في النسق القرآني كله من أوله لآخره وفي أغراضه كلها حتى في صياغة نفس الإنسان المؤمن وسلوكياته، فهو لا يركن إلى الأمن مطلقاً أو إلى الخوف بإطلاق، وقد نهى الله المسلم عن الفرح بالدنيا بقوله سبحانه ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ٧٦﴾ (القصص: ٧٦)، ونهاه أن يركن إلى اليأس أو القنوط في دنياه بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

فالوسطية إذا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا

[١] ابن قيم الجوزية. (١٩٩١). مدارج السالكين بين منازل" إيّاك نعبد وإيّاك نستعين"، ت. أحمد فخري الرفاعي، عصام فارس الحرستاني، بيروت: دار الجيل، ٥٦٠/٢.

تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع، ولا ذل ولا استسلام، ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة.[١]

ولما كان الفكر الإنساني عامة ينطلق ابتداءً من غيبيات تمثل معتقده، أيا كان نوع هذا الاعتقاد دينيا أو ماديا، وكذا من مبادئ ثقافته وبيئته، فإن الفكر الإسلامي ينطلق من عقيدة التوحيد التي تبرز أهميتها وقيمتها كدافع وباعث نفسي داخلي للفرد لسلوك المسلك العملي والخلقي الصحيح.

إن العقيدة التي يؤمن بها الفرد وتدين بها الأمة سواء أكانت صحيحة أم باطلة لا يقتصر أثرها على الناحية الفكرية استقامةً وانحرافًا، هدًى وضلالًا، بل لا بد وأن يظهر أثر هذه العقائد في جوانب الحياة المختلفة، لهذا وجب على الفكر الإسلامي أن يتسم بالاعتدال فيما يؤمن به من عقائد دينية ومبادئ خلقية، ولا يخرج عن حدود الوسطية التي ميَّزنا الله وأمرنا بها، ليكون الفكر آمنًا من أي غزو فكري يهدد ثوابته وقيمه، وبعيدا عن أي تعصب أو انحراف في " فهم الأمور الدينية، والسياسية، والاجتماعية وتطبيقاتها، مما قد يشكل خطرا على المنظومة الفكرية، والعقدية، والثقافية، والأخلاقية، والأمنية للفرد والمجتمع، ويهدد نظام الدولة وأمنها الوطني بكل مقوماته.[٢]

ثم إن الخطر الذي يهدد استقرار المجتمع وأمنه منذ القدم وإلى يومنا هذا يتمثل في الأفكار المنحرفة التي تترجم عمليا إلى سلوكيات فردية أو جماعية تتسم بالعنف والإرهاب والعدوان، ولهذا كان الاهتمام بتصحيح الاعتقاد وتقويم الفكر أولى الأمور الإصلاحية التي اعتنى بها الرسل والأنبياء عليهم السلام قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)

فالأفكار عادة ما تنبئ عن السلوك وتوجهه إيجابا وسلبا، نحو غايات مشروعة أو ممنوعة، خيرة أو شريرة، لأن سلوك الإنسان ما هو إلاّ انعكاس حتمي لأفكاره واعتقاداته، وإذا كان لا بد من مجابهة

---

[١] الزحيلي، وهبة.(٢٠٠٥). إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم: ٤٨١، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، أكتوبر/ نوفمبر ، ٣٧-٣٨.

[٢] المالكي، عبد الحفيظ بن عبد الله.نحو مجتمع آمن فكريا، دراسة مقدمة للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري تحت شعار(المفاهيم والتحديات) بجامعة الملك سعود ممثلة في كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري في الفترة ٢٢-٢٥ جماد الأول لعام ١٤٣٠هـ، ٤.

هذه الظواهر السلوكية وغيرها فلا بد من معالجة العامل الأساسي، والسبب المؤثر، والدافع المسيطر فيها والمتمثل في الجانب الفكري وانحرافه.

ولا شك في أن معظم الدوافع الخلفية نحو ممارسة الجريمة تنطلق في الأساس من الجانب الشعوري و الفكري عند الإنسان، ومدى ما لديه من القناعات والمبادئ والقيم التي تستمد أدلتها من رصيده وقناعاته الفكرية الراسخة في نفسه، وهو ما يؤكده القرآن في قصة قابيل وهابيل حيث قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧) فمن منطلق الشعور بالحسد إلى تمحور فكرة القتل ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٣٠) ثم إلى الترجمة السلوكية للفكرة، ويؤكد أحد الكتاب هذا بقوله:" إن الجريمة ترتبط بفكر الإنسان ارتباطا مطردا من حيث المبدأ، ولا يقدّم عليها أو يمتنع عنها إلا على أساسٍ من هذا الارتباط".[١]

ولهذا فإن للوسطية بمفهومها الشرعي مكانة جوهرية في وقاية الأفراد والمجتمعات من الغزو الفكري وما يصبو إليه، وكذا الحد من ظاهرة الانحراف بشتى مجالاته وأشكاله، وهي شرط أساس في تحقيق الأمن الفكري، ولكن بالنظر في واقع الأفراد والجماعات اليوم سواء على مستوى من اتصفوا بالانحراف والتطرف أو على مستوى الدعاة والمفكرين الساعين للإصلاح نجد إشكالية كبرى تتمثل في الجانب التطبيقي لمفهوم الوسطية، فالوسطية بمفهومها الثابت " قد تتحول تحت تأثير واقع معين، ورؤية اجتهادية خاصة، إلى أسس مناقضة للمفهوم الشرعي بدلا من كونها أسسًا بنائية فيه. وهذه مشكلة ربما تواجه أي مفهوم ثبوتي آخر، يكون من المسلمات المتفق عليها لدى جميع الأطراف، لكن يقع الإشكال في فهمه وصياغته، واستئثار كل طرف بتعريفه الخاص، ونموذجه الخاص"[٢] مما يولد ظاهرة التعصب للرأي ومن ثم ظاهرة الانتماء لجماعة معينة، وبالتالي الوقوع في مزالق الانحراف مما يؤدي بالضرورة إلى انعدام الأمن الفكري.

---

[١] صالح بن علي أبو عراد. دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري-تصور مقترح-، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٥٢، ٢٣٢/٢٧.

[٢] العودة، سلمان بن فهد. في مفهوم الوسطية، الإسلام اليوم http://www.islamtoday.net

والوسطية بمفهومها الشرعي ليست مفهوما مستقلا بذاته وإنما هي وصف لمنهج يعمل المسلمون من خلاله لتطبيق الإسلام في هذه الحياة، وقانون يوازن فيه بين العقل والنفس، ويوازن فيه الفكر بين التمسك بالثوابت والأصول وتقبل الاختلاف في الفروع والجزئيات، والتعايش التام مع هذا الاختلاف باحترام واستقرار وأمن وأمان.

فتحقيق الوسطية وتطبيقها عمليا مطلب شرعي وحضاري، وهي مقوم رئيسي للأمن الفكري وبتحققها يتحقق بالضرورة، مما يحقق للأمة التلاحم في الفكر والمنهج والغاية، ويثمر أمنا وطنيا يقود إلى التنمية والنهضة الحضارية التي لابد أن تعتمد وتتفق في خططها ومشاريعها التنموية مع مسار المنظومة الفكرية والنظام القيمي للأمة الإسلامية، حتى تتفاعل مع باقي الحضارات تفاعلا إيجابيا، وتدرك مواطن الخصوصية الحضارية التي تحفظ بها للأمة ذاتيتها وهويتها حتى لا تذوب وتنصهر في حضارة الآخرين.

خـاتمـة

إن قضية الأمن الفكري وضرورة تحققه وحمايته يعد واجبًا شرعيًا، وفريضة دينية، فهو ذو أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو أساس لكل أنواع الأمن الأخرى، بل هو الركن الأهم في نظم بنائها، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بدين هذه الأمة، عقيدةً وشريعةً، منهجًا وسلوكًا، ولا يمكن أن يتحقق إلاّ بحفظ الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها.

وفي حماية الأمن الفكري حماية للدين، الذي يعتبر أساس وجود الأمة وعظمتها، ومصدر ثقافتها وعزها، وسر تميزها وثباتها، وفي تحقيقه تحقيق للعقيدة ذاتها بسلامتها من الزيغ والشرك، ومن سائر البدع والأغاليط، واستقامتها من الانحراف والبعد عن وسطية الإسلام، وتمكينا لمبدأ الانتماء إلى الأمة الإسلامية، فالعقيدة والفكر الإسلاميين هما الرابطة التي تربط المسلمين أينما كانوا، وهي التي تبقي على صلة الإخاء بينهم، وتحفظ وحدتهم –وحدة الدين و الفكر، و وحدة المبادئ والقيم–، وهي التي تصونهم من أي أفكار دخيلة متطرفة من شأنها أن تؤدي إلى التفرق والتشرذم شيعًا وأحزابًا.

ولما كان الأمن الفكري بهذه الأهمية وجب الرجوع إلى المصادر الشرعية لوضع أسس وعناصر تشكل مقومات الأمن الفكري، ولا يمكن بحال أن يقوم مفهومه ويتحقق إلا على أساسها. ومن خلال هذه الدراسة حددت الباحثة ثلاث مقومات رئيسية –تندرج تحتها عدة فروع–وهي: الإيمان بالله عز

وجل وتوحيده وسلامة العقيدة من الشرك والخرافات، وعدم الخروج عن الضوابط الشرعية أثناء التفكر والتدبر ليثمر هذا التفكر فكرا سويا غير منحرف، ووجوب تطبيق الوسطية بمفهومها الشرعي كمنهج حياة متكامل وسطية في المعتقد والفكر، ووسطية في الفهم للأمور الدينية والدنيوية، ووسطية في السلوك والعمل.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

– إن الإيمان بالله عز وجل وتوحيده، هما الركيزة الأساسية التي يبنى عليها ماهية الأمن الفكري ووجوده، وهما سر الوجود الإنساني، وبتحقق الإيمان يتحقق السلوك السوي والعمل الصالح الذي به يتحقق وعد الله عز وجل وهو الأمن بكل معانيه وأبعاده وأنواعه.

–حافظ الشرع الإسلامي على سلامة العقل وصيانته من كل ما يفسده معنويا، فوضع له ضوابط وحدود لا يتعداها في حال التأمل والتدبر، وشدد في النهي عن الخوض في بعض الأمور إما لعجز العقل عن بلوغ حقيقتها وتصورها، أو سدا لباب السؤال والجدل الذي لا يعود على المكلف بفائدة دينية ودنيوية، فشرع له أحكاما تحفظه من كل ما من شأنه أن يخل بسلامته أو يغذيه بأفكار وعقائد منحرفة فاسدة.

– لا بد للفكر أن يتسم بالاعتدال فيما يؤمن به من عقائد دينية ومبادئ خلقية، ولا يخرج عن حدود الوسطية التي ميزنا الله وأمرنا بها، ليكون الفكر آمنا من أي غزو فكري يهدد ثوابته وقيمه، وبعيدا عن أي تعصب وغلو، أو انحراف في الفهم الديني أو السياسي أو الاجتماعي.

– وجود علاقة طردية بين الوسطية تطبيقيا وتحقق الأمن الفكري، وجودا وعدما، إيجابا وسلبا، فكلما وُجِدت الوسطية كمنهج حياة انعدمت مهددات الأمن الفكري وتحقق، وكلما غابت الوسطية استفحلت تلك الأخطار وانعدم الأمن الفكري.

– إن الأخطار التي تهدد استقرار المجتمع وأمنه نابعة من عالم الأفكار المنحرفة التي تترجم عمليا إلى سلوكيات فردية أو جماعية تتسم بالعنف والعدوان، وإذا كان لا بد من مجابهة هذه الظواهر السلوكية وغيرها فلا بد من معالجة العامل الأساسي، والدافع المسيطر فيها والمتمثل في الجانب الفكري وانحرافه عن المنهج السوي أثناء العملية التفكرية التي تعدت حدود العقل وضوابطه.

مصادر ومراجع:

REFERENCES:

Adarimi, A. A. (2000). Sunan ad-Darimī, Tahqqīq: Husain S. Riyadh: Dār al-Mughnī linashr wa Tawzi'.

Al-Asqalāni, Ahmad. (1379H). Fath al-Bārī Sharh Sahīh al-Bukhārī, Beirūt: Dār al-Ma'arifah.

Al-Awdah, Salman ibn Fahd. (n.d.). Fī Maf'hūm al-Wasattiyyah. http://www.islamtoday.net

Al-Hammash, Mut'ib. (1430H). Istratijiyyah Ta'ziz al-amn al-Fikrī. Riaydh: Jamiah al-Malik Sūd.

Al-Hanafi, Abul Izz A. (2011). Sharh al-Aqīdah al-TTahāwiyyah. Tahqīq: Abul Abbas A. Kuwait: Jam'iyyah Iyhā al-Turah al Islāmī. 4th ed.

Al-Maliki, Abdul H. (1430H). Nahw Mujtama' Amin Fikriyyan. Riaydh: Jamiah al-Malik Sūd.

Al-Maqdisi, Mujirddin. (2009). Fath ar-rahmān fi Tafsīr al-Qur'ān. Dār al-Nawādir.

Al-Muslish, Khalid, A. (n.d.). Sharh al-Aqīdah al-TTahāwiyyah. http://www.islamweb.net

Al-Nawawi, Abu Zakariyya. (1392H). Minhāj Sharh Sahīh Muslim, Beirūt: Dār Ihyā al-Turahth al-Arabī, 2nd. ed.

Al-Qairawāni, Abu Zaid. (n.d.). Aqīdah as-Salaf. Taḫqqīqq: Bakr b. Abdullah. Dār al-Asimah.

Al-Rajhi, Abdul Aziz. (Sharh al-Wasiyyah al-Kubrā li ibn Taymiyyah. http://www.islamweb.net

Al-Shātibī, Abu Is'hāq. (1992). Al-I'tisām. Saudia: Dār ibn Affan.

Al-Sudais, A. (2005). Al-Shari'ah al-Islāmiyyah wa dawruhā fi Ta'azīz al-amn al-Fikrī. Kitāb: al-Amn al-Fikrī. Riyadh: Jamiah Naif al-Arabiyyah lil Ulūm al-amniyyah.

Al-Tabarī, Abu Ahmad M. Jarir. (1323H). Jāmi' al-Bayān fi Tafsīr al-Qur'an, Misr: al-Mat'bah al-Kubrā al-Amīriyyah.

Al-Tuyan, Abdul Aziz. (1999). Juhūd al-Shaikh Muhammad al-Amin al-Shinqiti fi taqqrīr Aqīdah as-Salaf. Riyadh: Maktabah al-Ubaikān.

Al-Zahrani, Ibrahim. (2011). Al-Amn al-Fikri: Mafhumuh, Darūratuh, Majālatuh. www.assakina.com

Al-Zuhaili, Whabah. (2005). Izā iktallah mīzān al haqq. Kuwait: Majallah al Wa'ay al-Islāmi. No. 481.

At-Turki, A. Abdul Muhsin. (1422H). Al-Amn al-Fikrī wa Ināyah al-Mamlakah al-Arabiyyah as-Su'ūdiyyah bih. Makkah.

Ibn Abdul Wahāb, S. A. (2002). Taisīr al-Aziz al-Hamīd fi Sharh Kitāb at-Tawhīd. Beirūt: al-Maktab al-Islāmī.

Ibn al-Qayyim, M. (1991). Madārij al-Sālikīn bayna Manāzil Iyyāka Na'bud, Beirūt: Dār al-Jīl.

Ibn al-Qayyim, M. (n.d). at-Turuq al-Hikamiyyah. Maktabah dar al-Bayān.

Ibn Kathīr, A. Ismail. (1419H). Tafsīr al-Qur'an al-Azīm. Beirūt: Dār al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Taymiyah, T. Abdul Halim. (1995). Majmu' al-Fatāwā. Tahqīq: Abdrahman M. Madinah: Maj'mah al-Malik Fahd li Tibā'h al-Mus'haf.

Salih, Abu Arrad. (n.d.). Dawr al-Jamiah fī Tahqqīqq al-Amn al-Fikrī. Majallah al-Arabiyyah li dirāsāt al-Amniyyah, No. 52.

Sayyid, Qutb. (1412). Fī Zilāl al-Qur'ān. Beirūt: Dār al-Shurūq, 17th. ed.